

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

ISSN: 2617-5908



التفسيرُ الموضوعِي لآياتِ الوجْهِ فِي القرْآنِ الكريمِ دِرَاسَةٌ لِمَا يَتعَلَّقُ بِحَقِّ اللهِ والأَنْبيَاءِ والرُّسُلِ(*)

إعداد

د/عبد الواسع عبده هِزَبْر خالد المِخْلاَفِي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
بقسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب-جامعة تعز.

الباحث/عبد القادر محمد أحمد الأهدل

(*)- تاريخ تسليم البحث 2019/6/13م تاريخ قبوله للنشر 2020/7/2م.
(*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة موضوع قرآني بمنهجية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وذلك بعنوانه الموسوم: (التفسير الموضوعي لآيات الوجه في القرآن الكريم- دراسة لما يتعلق بحق الله والأنبياء والرسل) وتكونت خطته من مقدمة متضمنة لأهمية البحث ومشكلته والحاجة الضرورية إليه بالنسبة للقارئ المسلم والباحثين المتخصصين في مجال التفسير وعلوم القرآن ومناهج المفسرين، وجاء في خمسة مباحث يتخللها ست عشرة فقرة فرعية تقريرية، مثلت قلب البحث ولب الدراسة فيه، وهي بحسب الترتيب:

ذكر الوجه في القرآن المتعلق بحق الله والمراد به الذات الواجبة الوجود.- ذكر الوجه في القرآن المتعلق بحق الله والمراد به الجهة ومنها القبلة.- ذكر الوجه في القرآن المتعلق بحق الله في الإنفاق في وجوه الخير ابتغاء وجه الله والمراد طلب مرضاته.- ذكر الوجه في القرآن المتعلق بحق الله بالتوجه بالعبادة كلها ابتغاء وجه الله والمراد طلب رضا الله.- ذكر الوجه في القرآن بحق الله بالتوجه بالصبر ودواعيه نحو وجه الله والمراد طلب رضاه.- ذكر الوجه في القرآن بحق الأنبياء والمراد به الالتجاء أو التوجه إلي الله.- ذكر الوجه في القرآن بحق الأنبياء والمقصود به الاستقامة والثبات على أمر الله.- ذكر الوجه في القرآن بحق الأنبياء والمراد به إخلاص التوجه لله.- ذكر وجه امرأة النبي إبراهيم في حالة البشرى والصك والتعجب من أمر الله.

ومن أهم نتائج البحث وخلاصته أنه كشف عن بعض الجوانب العقدية، والتشريعية، والإخبارية، وأساليب الترغيب والترهيب التي اشتملت عليها الآيات التي ذكرت مادة (الوجه) باستعمالاتها المتعددة في ما يتعلق بحق الله والأنبياء والرسل، والكشف عن معاني هذه الاطلاقات القرآنية وعلاقتها بأركان الإيمان والإسلام وأثر ذلك في استقامة عباد الله المؤمنين لله عقيدة وعبادة وسلوكا، وتنقية تصوراتهم من الشُّبه والتشبيه والضلالات العقدية والفكرية والتأويل المذموم، والوقوف على مقاصد الآيات ومعانيها وأبعادها الواقعية، وذلك قدر الإمكان وبما يتوافق مع مساحة البحث المخصَّصة، في مثل هكذا أبحاث أكاديمية.

The Objective Interpretation of the Verses of Face in The Holy Quran A Study Related to Allah, Prophets and Messengers.

By:
Dr Abdulwase' Abdu Hizabr Al Mikhlafy
Professor of Interpretation and Quran Studies
Islamic studies Dept. Arts College, Taiz University, Yemen.
Researcher: Abdulqader Mohammed Ahmed Al Ahdal

Abstract

The present study aims at studying the objective interpretation of the verses of face in The Holy Quran: a study related to Allah, prophets and messengers. The proposal of this study consists of introduction which includes the problem of the study, the significance of the study and the urgent need of the study for Muslims in general and the interpreters of The Holy Quran in particular. Introduction also includes the Quranic studies and the approaches of interpretation. Besides the introduction, the study includes five chapters including sixteen subtitles which are as follows:

Mentioning 'Face' in the Holy Quran as related to Allah, the absolute divine entity of God; Face in the Holy Quran related to Allah which means the direction of Qibla; Face in the Holy Quran related to expenditure for the sake of Allah; Face in the Holy Quran related to Allah's right of worship for the sake of Allah and his satisfaction and Face that is related to patience while requesting Allah's satisfaction; Mentioning Face as related to the right of prophets that means total supplication to Allah. Mentioning Face as related to the right of prophets that means total righteousness and steadfastnesl...s. Mentioning Face related to the right of prophets that means total loyalty to Allah with an example of the face of the wife of prophet Ibrahim in a state of total happiness and surprise.

The results of this study show that the verses of the Holy Quran related to "Face" include some dogmatic, legislative and foretelling factors. They include the awakening of the desire and the terrifying styles related to the right of Allah, the prophets and the messengers. The study discloses the interpretations of these verses of face and its effect upon the faith of the Muslim and his/ her piety correcting his/her dogmatic conception. Such interpretation helps Muslims to avoid the wrong understanding of the verses of the face as possible in such academic studies.

المـقـدمـة:

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين، وجعل القرآن شفاءً لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أشرف ما يقدمه الباحثون في بحوثهم ما كان في خدمة القرآن العظيم وعلومه الجليلة الزاهرة، ولهذا نجد اهتمام علماء الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً بدراسة القرآن الكريم فهماً وتفسيراً، ومن أجل ذلك تعددت المناهج والأساليب والاتجاهات في التعامل مع بيان الآيات القرآنية، بغية إظهار وإبراز وجوه البلاغة والإعجاز والإيجاز والدقة المتناهية في اللفظ والموضوع القرآني، واستخراج مكنون وجواهر اللفظ والموضوع، وإبراز أحكامه ودلائله، وإظهار الإيحاءات والإشارات والمقاصد مما زخر به اللفظ القرآني وموضوعه، ولا يزال القرآن الكريم معيناً لا ينضب في ذلك.

والقرآن الكريم هو مجموعة كبيرة من القضايا التي لا يدركها الإحصاء، وكثافة هائلة من الموضوعات التي لا يحصيها العَدّ، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم يُعدّ أحد هذه المناهج التي تنقِّب عن هذه القضايا والمواضيع، وتخدم اللفظ والموضوع القرآني، إن لم يكن أهمها، لما يقدمه من خدمة في هذا الجانب، حيث يقوم بجمع الآيات المتعددة المتفرقة في ثنايا السور، والألفاظ المبثوثة في بطون الآيات ويقابلها ببعضها، ويقوم بفرزها وتصنيفها ضمن منهج دقيق، فيظهر بعد ذلك جمال تلك اللآلئ التي كانت جواهر منثورة بحسن بديع وترتيب دقيق، ولا يمكن أن تنفك عن ترتيبها، غير أن التفسير الموضوعي يقوم بجمع هذه الجواهر ويَصُفّها متقابلة في بوتقة واحدة؛ فتظهر كأنها قطعة طرزت بأنفس الألوان والدرر، فيستطيع الناظر لها من أول وهلة أن يرى كل تلك النفائس في مكان واحد وموضوع واحد، فيدرك الجوانب البلاغية، والمعاني اللفظية، والاستعمالات القرآنية، والدلالات والأحكام، والإشارات والإيحاءات الموجودة في طي وثنايا تلك الألفاظ والموضوعات القرآنية التي يظل الجن والإنس في عجز عن الإتيان بمثله.

ومن خلال ذلك تظهر جلياً أهمية التعامل مع القرآن الكريم موضوعيا وفي إبراز الإعجاز القرآني جلياً واضحاً، فكل جزئية موضوعية تتناول موضوعاً من مواضيع القرآن الكريم تقوم بخدمته من جوانبه، وما أحوج أمتنا – في عصر التنوع الفكري، وتعدد القضايا والعلوم – إلى مثل هذا النوع من التفسير الذي يكشف عن موضوعات القرآن الكريم الكثيرة ومعانيه الغفيرة، ويخدم قضية واحدة، ويبرز فكرة محددة، أراد القرآن إرشاد الناس إليها، لاسيما في عصر الاختصار

والسرعة الذي كلت فيه الهمم عن البحث عن المعلومة التي تفرقت مفرداتها، وتوزعت أنواعها، فقل أن تجد مشمراً يجمع ويبحث عما تفرق ويُركب منه فكرة واحدة إلا من كان هذا شأنه وتخصصه.

وإن أهمية البحث لتكمن في أهمية دراسة القرآن الكريم دراسة موضوعية تظهر حكمة القرآن الكريم واهتمامه في كل موضوع على حدة، واستخراج أحكامه ومعانيه وحكمه، وأنواعه ودلالته واستعمالاته المتعددة وآثار ذلك في بناء الشخصية الاسلامية الإيجابية، وبناءً على هذه الأهمية والحاجة: وتحقيقا لهذا التخصص المتعلق بالقرآن الكريم فهما وتفسيرا واستنباطا واستدلالا؛ وفي إطار هذا المنهج الموضوعي، فقد كان النظر إلى إحدى قضايا وموضوعات القرآن الكريم لتكون موضوع هذا البحث، وهو (الوجْه) في القرآن الكريم باشتقاقاته وتصريفاته واستعمالاته القرآنية.

ومما لا شك فيه أن الوجه هو أشرف أعضاء الإنسان، وأشرف ما يذكر الأشخاص والجهات والهيئات والماديات والمعنويات والمشاهدات والغيبيات في عالم الأحياء والجمادات، وهذا ما توافقت عليه الفطر الخيرة، وقضت به العقول السليمة، والفكر المستنيرة، وجاءت به الأديان السماوية، وأقرته التشريعات الوضعية والعرفية. وبهذا يتضح شرف الوجه وفضله وأهميته شرعا وعقلا وواقعا، ويزداد الأمر وضوحا عند التأمل في ما جاء في القرآن الكريم من آيات جعلت من الوجه محورا للحديث عن قضايا ذات أهمية بالغة في حياة الإنسان والبيئة من حوله عموما، ووجه المؤمن بالله حق الإيمان يزداد أهمية وشرفا وأكثر اطمئنانا وجمالا على وجه الخصوص.

لذلك تم حصر الآيات التي أوردت مادة (الوجْه) لتكون أكثر من تسع وسبعين آية قرآنية، ولتشكل رؤية كلية متكاملة للدراسة، فمنها الآيات التي استعملت الوجه في ما يتعلق بحق الله، ومنها ما يتعلق بحق الأنبياء والرسل، ومنها ما يتعلق بصفات المدح للمؤمنين، منها في الدنيا ومنها في الآخرة، ومنها ما يتعلق بصفات الذم للكفار والمنافقين، منها في الدنيا ومنها في الآخرة، وهذا موضوع مترامي الأطراف، ويحتاج إلى نفس طويل ومساحة كبيرة وزمن كاف للدراسة، إلى تسعه أمثال هذه الأبحاث الأكاديمية القصيرة السريعة، وبما أن شأوه بعيدا، ومناله صعبا أو عصيبا ، فقد تحددت الدراسة ليكون هذا البحث في حدود ما يتعلق باستعمال القرآن للوجه بحق الله تعالى، وبحق أنبيائه ورسله عليهم السلام، دون التطرق إلى بقية الاستعمالات الأخرى التي أشرنا إليها آنفا التي تتوافق مع أبحاث الرسائل العلمية، وهي كذلك في طور الدراسة.

وانطلاقاً من أهمية البحث وبيان مشكلته والحاجة إليه، وبما أن مادته القرآنية وفيرة وتشكل رؤية متكاملة حول الوجه في القرآن الكريم، أصبحت تستحق الالتفات من الباحثين المتخصصين وتناولها بالدراسة؛ لذلك عزمت الأمر وعقدت النية ورأيت دراستها دراسة موضوعية، ضمن

منهجية التفسير الموضوعي، وذلك تحت عنوان موضوعي موسوم بـ **(التفسير الموضوعي لآيات الوجه في القرآن الكريم– دراسة لما يتعلق بحق الله تعالى والأنبياء والرسل).**

ومن خلال هذا البحث نسعى إلى الإسهام في إظهار الجوانب العقدية، والتشريعية، والإخبارية، وأساليب الترغيب والترهيب التي اشتملت عليها الآيات التي ذكرت مادة (الوجه) باستعمالاتها المتعددة في ما يتعلق بحق الله والأنبياء والرسل والكشف عن معاني هذه الاطلاقات القرآنية وعلاقتها بأركان الإيمان والإسلام وأثر ذلك في استقامة عباد الله المؤمنين لله عقيدة وعبادة وسلوكا، وتنقية تصوراتهم من الشُّبه والتشبيه والضلالات العقدية والفكرية والتأويل المذموم، وقد تم تناول هذا العنوان في خمسة مباحث رئيسة يتخللها فقرات فرعية مدعّمة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال المفسرين ودراسة الأبعاد والمقاصد والفوائد بحسب الطاقة، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم الوجه في اللغة والاصطلاح:

المبحث الثاني: بيان استعمالات لفظ (وجْه) في القرآن الكريم

المبحث الثالث: الوجه في القرآن المتعلق بحق ذات الله وبالجهة إليه

المبحث الرابع: الوجه في القرآن المتعلق بحق الله في طلب مرضاته

المبحث الخامس: الوجه في القرآن المتعلق بحق الأنبياء والرسل

وبعد هذه المقدمة النظرية وهذا العرض الموجز يأتي البحث، وهي الترجمة العملية لها، وكل ذلك بعون من الله ورعايته، وما التوفيق إلا بالله وعليه التوكل وهو الحسب ونعم الوكيل.

المبحث الأول

مفهوم الوجه في اللغة والاصطلاح

أولا: المفهوم اللغوي للوجْه:

قال أحمد بن فارس:" الْوَاوُ وَالْجِيمُ وَالْهَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَابَلَةٍ لِشَيْءٍ. وَالْوَجْهُ مُسْتَقْبِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ وَجْهُ الرَّجُلِ وَغَيْرُهُ. وَرُبَّمَا عُبِّرَ عَنِ الذَّاتِ بِالْوَجْهِ، تَقُولُ: وَجْهِي إِلَيْكَ... وَوَاجَهْتُ فُلَانًا: جَعَلْتُ وَجْهِيَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، وَمِنَ الْبَابِ قَوْلُهُمْ: هُوَ وَجِيهٌ بَيِّنُ الْجَاهِ. وَالْجَاهُ مَقْلُوبٌ. وَالْوِجْهَةُ: كُلُّ مَوْضِعٍ اسْتَقْبَلْتَهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ} [البقرة: ١٤٨]. وَوَجَّهْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُهُ عَلَى جِهَةٍ. وَأَصْلُ جِهَتِهِ وِجْهَتُهُ "[١].

([١]) **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ج٦، ص٨٨-٨٩.

وجاء في لسان العرب: "الوجه: معروف، والجمع الوجوه" [٢]. وقال في تاج العروس: "الوجه: مستقبل كل شيء،...، والجمع: أوجه "[٣]. وفي أساس البلاغة: "ومن المجاز: هذا وجه الثّوب. ووجه القوم، وهؤلاء وجوه البلد، ورجل وجيه: بيّن الوجاهة. وله جاه وحرمة "[٤]. وقال الكفوي في الكليات:" الْوَجْه: هُوَ مُسْتَقْبل كل شَيْء وَنَفس الشي. وَمن الدَّهْر أَوله. وَمن النَّجْم مَا بدا لَك مِنْهُ. وَمن الْكَلَام السَّبِيل الْمَقْصُود. وَسيد الْقَوْم. وَالْقَصْد وَالنِّيَّة: ﴿**إِنِّي وجهت وَجْهي للَّذي فطر السَّمَاوَات وَالْأَرْض**﴾[الأنعام:٧٩]. والمَرضاة ﴿**إِنَّمَا نطعمكم لوجه الله**﴾ [الإنسان:٩]،"[٥].

وقال في معجم لغة الفقهاء: "الوجه: بفتح فسكون، جمعه أوجه ووجوه، ما يقبل به من كل شيء، وجه الإنسان: ما يقبل به من رأسه، وفيه العينان والفم، وحده طولا: من مبدأ سطح الجبهة إلى أسفل الذقن، وحده عرضا: ما بين شحمتي الأذنين، وجه القوم: سيدهم الذي يبرز لمواجهة العظماء ونحوهم،..."[٦]. وللوجه في اللغة معان كثيرة، مجموعة في المعجم الوسيط[٧].

ثانيا: المشتقات اللغوية للوجه:

الوجْه: مستقبل كل شيء وأحسنه، وقيل: أصله الجارحة، قال الله تعالى: ﴿**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**﴾[سورة المائدة:٦]، ولما كان الوجه أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن؛ استعمل في مستقبل كل شيء وفى أشرفه ومبدئه[٨]. ولهذا كان الاشتقاق من لفظ الوجه يدور حول الأمر، كما سيأتي.

ومما اشتق من الوجه:

الجهة: قال في بصائر ذوي التمييز: "الجهة: بالكسر والضم، و الوجه: الجانب والناحية، والجمع جهات"[٩]. وقال في مختار الصحاح: "(الْوَجْهُ) مَعْرُوفٌ وَالْجَمْعُ (الْوُجُوهُ). (وَالْوَجْهُ) (وَالْجِهَةُ) بِمَعْنًى "[١٠].

الوجهة: قال في المعجم الوسيط: "الوجهة: الجانب والناحية والموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، وكل مكان استقبلته، والقبل وشبهها، ووجهة الأمر: وجهه"[١١].

---

(٢) **لسان العرب**، محمد بن مكرم ابن منظور، ج١٣، ص٥٥٥.
(٣) **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق مرتضى، الزَّبيدي، ج٣٦، ص٥٣٥.
(٤) **أساس البلاغة**، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، ج٢، ص٣٢٢.
(٥)**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي، ص٩٤٧، وقال الكفوي:" قَالَ السَّيِّد السَّنَد: الْوَجْه وضع فِي اللُّغَة للجارحة الْمَخْصُوصَة حَقِيقَة، وَلَا يجوز إرادتها فِي حَقه تَعَالَى، وَلم يوضع لصفة أُخْرَى مَجْهُولَة لنا، بل لَا يجوز وَضعه لما لَا يتعقله الْمُخَاطب، إِذْ الْمَقْصُود من الأوضاع تفهيم الْمعَانِي فَتعين الْمجَاز والتجوز عَمَّا يعقل وَيثبت بِالدَّلِيلِ مُتَعَيّن إِلَّا أَن من فوض تَفْصِيل التَّأْوِيل إِلَى الله وَهُوَ أَكثر السّلف وَأكْثر أَصْحَابنَا يَقُول فِي المجازات كَثْرَة وَلَا قَاطع فِي التَّعْيِين، فيفوض تعْيين ذَلِك إِلَى الله تَعَالَى"**المصدر نفسه**، ص٩٤٧.
(٦) **معجم لغة الفقهاء**، محمد رواس قلعجي؛ وحامد صادق قنيبي: ص٤٩٩.
(٧) يُنظر: **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢، ص١٠١٥- ١٠١٦.
(٨) **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ج٥، ص١٦٦.
(٩) **المصدر السابق**: ج٥، ص١٦٧.
(١٠) **مختار الصحاح**، للرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ص٣٣٤.

الوجِيه: قال في المعجم الوسيط: "الوجيه: ذو الجاه، وسيد القوم"(١٢).

المواجهة: قال في الصحاح: "والمواجهة: المقابلة. ويقال: قعدت وُجاهَكَ ووِجاهَكَ، أي قبالتك"(١٣).

ثالثا: استعمال العرب للوجه للتعبير عن بعض الصفات:

استعملت العرب وصف الوجه للتعبير عن بعض صفات الإنسان، سواء ما كان منها على سبيل المدح أو الذم فمن ذلك على سبيل المثال:

قولهم: (إنه لحرُّ الوجه): للكريم، و(عبد الوجه): للئيم.

قال في المخصص: "يقال إنه لحر الوجه وعبده، يعني به الكرم واللؤم، وحسنت إضافتها إلى الوجه لأنهما صفتان، أما الحر فلا نظر فيه؛ لأنه قد جاء وصفا كثيرا، وأما العبد: فقال سيبويه: العرب تقول رجل عبد، فيصفون به"(١٤).

وقولهم: (فلان وَجه): لذي الجاه.

قال في المخصص: "يقال فلان وجه ووجيه: بَيِّن الوجاهة، وقد وَجُه، وقالوا له جاه عند السلطان، فقلبوه عن وَجْه، وتغير بناؤه بالقلب من فَعْل إلى فَعُل؛ لأن القلب قد تتحول به الأبنية ولا يقلب الوجه إلا في قولهم الجاه"(١٥).

وقولهم: فلان مكفهر الوجه لقليل الحياء.

قال في المخصص: "وجه مكفهر: قليل اللحم غليظ الجلد لا يستحي من شيء، وقيل: هو العبوس، يقال: لقيه فاكفهر في وجهه"(١٦).

وقولهم: (فلان جهم الوجه): لسيء استقبال الناس.

قال في تهذيب اللغة: "رجل جهم الوجه: غليظه، وفيه جهومة: غلظ. قال: وتجهمت لفلان: إذا استقبلته بوجه كريه"(١٧). وغير ذلك من استعمالات لفظ الوجه عند العرب، ولعل هذه- المذكورة- أشهرها، والله أعلم.

رابعا: المفهوم الشرعي والاصطلاحي للوجه:

لم يختلف مفهوم الوجه عند علماء الشرع عن مفهومه- كما تقدم- عند علماء اللغة، بل اتفقوا جميعا على أن مفهوم الوجه هو: مُسْتَقْبِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَنَفس الشي وربما ذاته وحقيقته، ويُقَالُ

---

(١١) **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطف ولآخرون، ج٢، ص ١٠١٦.
(١٢) **المصدر السابق**، ج٢، ص١٠١٦.
(١٣) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ج٦/ ص٢٢٥٥.
(١٤) **المخصص**، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، كتاب: خلق الانسان، ج١، ص٩٣.
(١٥) **المصدر السابق**، ابن سيده: ج، ص٩٣.
(١٦) **المصدر السابق**: نفسه، ج١، ص٩٤.
(١٧) **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ج٦، ص٤٤.

على وَجْهُ الرَّجُلِ وَغَيْرُهُ من المخلوقات، وهو العضو المعروف من الانسان ما يقبل به من رأسه وأشرفه وأحسنه ومبدئه.

لكن الفقهاء- في كتب الفروع-: اختلفوا في الحدود الفاصلة بين الوجه وبين غيره من الأعضاء التابعة للرأس، وغالبا ما يذكرون ذلك في مباحث الوضوء والشجاج؛ لما يتعلق بها من أحكام فقهية، وعليه: ففي هذه الفقرة بيان لبعض أقوال الفقهاء في حدود الوجه وتقسيماته، ومنها نستخلص معنى الوجه في المعنيين الشرعي والاصطلاحي بالنسبة للإنسان.

قال الحنفية: "وحد الوجه من قصاص الشعر إلى أسفل الذقن وإلى شحمتي الأذن؛ لأن المواجهة تقع بهذه الجملة وهو مشتق منها"(١٨). وقال المالكية: الوجه: "من قصاص شعر الرأس إلى أسفل الذقن طولا، ومن الصدغ إلى الصدغ عرضا"(١٩)، وفي عبارة أخرى لهم: الوجه من منابت شعر الرأس المعتاد إلى آخر الذقن أو اللحية، ومن الأذن إلى الأذن(٢٠).

وقال الشافعية: الوجه:" ما بين منابت شعر الرأس إلى الذقن ومنتهى اللحيين طولا، ومن الأذن إلى الأذن عرضا"(٢١). وقال الحنابلة: الوجه: "هو من منابت شعر الرأس إلى ما انحدر من اللحيين والذقن وإلى أصول الأذنين"(٢٢). وهكذا فقد اختلفت عباراتهم في تحديد الوجه وأغلب ذلك يعود إلى المعنى اللغوي للوجه.

قال في الفقه الإسلامي: "والوجه: ما يواجه به الإنسان. وحده طولاً: ما بين منابت شعر الرأس المعتاد، إلى منتهى الذقن، أو من مبدأ سطح الجبهة إلى أسفل الذقن. والذقن: منبت اللحية فوق الفك السفلي أو اللَّحْيين: أي العظمين اللذين تنبت عليها الأسنان السفلى. ومن الوجه: موضع الغمم: وهو ما ينبت عليه الشعر من الجبهة، وليس منه النزعتان: وهما بياضان يكتنفان الناصية: وهي مقدم الرأس من أعلى الجبين، وإنما النزعتان من الرأس؛ لأنهما في حد تدوير الرأس.

وحد الوجه عرضاً: ما بين شحمتي الأذنين. ويدخل في الوجه في الراجح عند الحنفية والشافعية البياض الذي بين العذار والأذن. وقال المالكية والحنابلة: إنه من الرأس. كما يدخل في الوجه في الأصح عند الحنابلة-كما في المغني- موضع التحذيف: وهو ما ينبت عليه الشعر الخفيف من طرفي الجبين بين ابتداء العذار والنزعة لأن محله من الوجه. ولكن قال النووي: صحح الجمهور-

---

(١٨) **فتح القدير**، محمد بن عبد الواحد ابن الهمام، ج١، ص١٥، ج١٠، ص٢٨٧.
(١٩) **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرُّعيني، ج٣، ص١٤٠.
(٢٠) **إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك**، عبد الرحمن بن محمد شهاب الدين المالكي، ص٦.
(٢١) **المجموع شرح المهذب**، محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، ج١، ص٣٧١.
(٢٢) **المغني**، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، ج١، ص٨٥.

أي من الشافعية- أن موضع التحذيف من الرأس؛ لاتصال شعره بشعر الرأس. وقال صاحب كشاف القناع الحنبلي: لا يدخل في الوجه تحذيف، وإنما هو من الرأس"(٢٣).

وقال في موضع آخر: "ولأن الفم والأنف عضوان باطنان، فلا يجب غسلهما كباطن اللحية وداخل العينين، ولأن الوجه: ما تحصل به المواجهة ولا تحصل المواجهة بهما"(٢٤).

وقال صاحب مواهب الجليل: "وحكي عن أبي العباس وابن أبي هريرة من الشافعية أنه- أي موضع التحذيف- من الوجه؛ لأن العادة فيه التحذيف وهو ضعيف؛ لأنه شعر متصل بشعر الرأس ولا اعتبار بالعادة إذ لم يجعله أهل اللغة من الوجه انتهى"(٢٥).

المبحث الثاني

بيان استعمالات لفظ (وجه) في القرآن الكريم

أولا: سرد استعمالات القرآن للفظ (وجه):

عند التأمل في الآيات التي ورد فيها لفظ (الوجه)، مع ما ذكره أهل التفسير حول توضيح المراد من تلك الآيات: نجد أن الوجه قد أطلق في القرآن الكريم على أوجه متعددة، وصنفها بعض العلماء إلى الأوجه التالية:

أحدها: الوجه المعروف في الحيوان. ومنه قوله تعالى: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ [البقرة:١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾[آل عمران:١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا** ﴾[النساء:٤٧].

والثاني: الدين. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾[النساء:١٢٥]، أي: أخلص دينه، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان:٢٢].

والثالث: الذات. أي بمعنى: الشيء نفسه. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[الأنعام:٥٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[الكهف:٢٨]، وقوله تعالى:﴿ **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[القصص:٨٨]، وقوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ**﴾ [الروم:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ**﴾ [الإنسان:٩]، أي: الله.

والرابع: أول الشيء. ومنه قوله تعالى: ﴿**آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ**﴾ [آل عمران:٧٢]، أي أول النهار.

---

(٢٣) **الفقه الإسلامي وأدلته**، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج١، ص٣٦٧.
(٢٤) **المصدر السابق** ، ج١، ص٣٩٦.
(٢٥) **مواهب الجليل في شرح مختصر الخليل**، الرعيني: ج١، ص١٨٦.

والخامس: العلم. ومنه قوله تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ [البقرة:١١٥]، أي: علمه، حكاه: محمد بن القاسم النحوي.

والسادس: الحقيقة. ومنه قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا**﴾ [المائدة:١٠٨]، أي على حقيقتها[٢٦].

والسابع: المراد. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ**﴾ [البقرة:١١٥]، "أي: الوجه الذي يريده الله، وجاء في التفسير أنه أراد فَثَمَّ القبلة وخص المشرق والمغرب في هذه الآية؛ لأنهما أشهر الجهات، وأراد ما بين المشرق والمغرب وذلك الدنيا كلها، والمراد أن الجهات وما فيها لله فأينما تستقبلوا من الوجوه المأمور باستقبالها فَثَمَّ الوجه الذي تتقربون به إلى الله، وقيل: أراد فأينما وليتم وجوهكم وكونوا قاصدين للوجه الذي أمركم الله تعالى به، فإذا عرفتم الكعبة فلتكن الغرض،..."[٢٧].

ثانيا: ما اشتق من لفظ الوجه في القرآن الكريم:

استعمل القرآن بعض اشتقاقات لفظ الوجه وذلك في موضعين منه[٢٨]:

الأول: الوجهة، وذلك في موضع واحد من سورة البقرة، حيث قال تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا**﴾ [البقرة:١٤٨]. قال الطبري: "وأما (الوِجهة)، فإنها مصدر مثل (القِعدة) و(المِشية)، من (التوجّه). وتأويلها: مُتوَجِّهٌ، يتوجَّه إليه بوَجهه في صلاته"[٢٩]. وهي هنا بمعنى: القبلة أو الملة[٣٠].

الثاني: وجيها، وذلك في موضعين: الأول: في سورة آل عمران، في قوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ [آل عمران:٤٥]، والثاني: في سورة الأحزاب، حيث قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ [الأحزاب:٦٩].

قال أبو جعفر الطبري: "يعني بقوله: ﴿**وَجِيهًا**﴾، ذا وَجْهٍ ومنزلة عالية عند الله، وشرفٍ وكرامة. ومنه يقال للرجل الذي يَشرُف وتعظمه الملوك والناس: (وجيه)، يقال منه: (ما كان فلان وَجيهًا، ولقد وَجُهَ وَجاهةً، وإن له لَوجْهًا عند السلطان وَجاهًا ووَجاهةً)، و(الجاه): مقلوب، قلبت،

---

(٢٦) للاطلاع على تلك الوجوه، يُنظر: **الوجوه والنظائر**، الحسن بن عبد الله بن مهران ، ص٤٩٥ــ٤٩٦، و**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرق ابن الجوزي، ص٦١٧ــ٦١٨.
(٢٧) **الوجوه والنظائر**، العسكري، المصدر السابق، ص٤٩٦.
(٢٨) يُنظر: **المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم**، محمد بسام الزين، ج٢، ص١٢٩٩. و**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٧٤٤.
(٢٩) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن غالب أبي جعفر الطبري، ج٣، ص١٩٣.
(٣٠) يُنظر: **المصدر السابق**، الطبري،ج٣ ، ص١٩٤.و**تأويلات أهل السنة**، محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي، ج١، ص٥٩١.

واوه من أوّله إلى موضع العين منه، فقيل: جاه، وإنما هو وجه، و(فعل) من الجاه: جاهَ يَجوه. مسموع من العرب: (أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا)، بمعنى: أن يستقبلني في وجهي بأعظم منه"(٣١).

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[سورة الأحزاب:٦٩]، "يقول: وكان موسى عند الله مشفعًا فيما يسأل، ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه"(٣٢).

وقال الماتريدي– رحمه الله–: وقوله: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا﴾: بالمنزلة، ومكينًا في الآخرة(٣٣) وقال: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾.أي: مكينًا في القدر والمنزلة، والله أعلم(٣٤).

ثالثا: مقارنة بين استعمالات اللغة والقرآن للفظ (وجه):

بالنظر إلى ما سبق سرده من استعمالات لفظ (الوجه) في اللغة والقرآن: يتضح لنا ما يلي:

أولا: عند التأمل في استعمالات اللغة للفظ (الوجه) ومشتقاته: نجد أن اللغة قد توسعت كثيراً في ذلك حتى أن العدد قد يفوق الحصر لتلك المعاني المستخدمة، وما ذلك التوسع إلا ناتج عن توسع القاموس اللغوي العربي، فتجد فيه تنوعًا للفظ بين الحقيقة والمجاز والكناية ولاستعارة والاشتقاق، ونحو ذلك من الاستعمالات اللغوية.

لكن الملاحظ في الوقت نفسه أن الكثير من تلك المعاني والمشتقات لم يعد مستخدما، وذلك مثل إطلاقهم الوجه على: سيد القوم وشريفهم، وعلى القلب وعلى صلاة الصبح، وعلى القليل من الماء، وغير ذلك.

بينما سلمت المشتقات اللغوية وهي: الجهة، الوجهة، الوجيه، المواجهة، من ذلك الإهمال؛ لقلتها وانحصارها.

ثانيا: وفي المقابل عند النظر فيما سبق سرده – ومحاولة: تصنيفه– من استعمالات القرآن للفظ (الوجه): نجد أنه اقتصر على أقوى وأدق الاستعمالات، وبما يحتاج إليه السياق من أجل إيصال المقصود الإرشادي والتوجيهي للبشر، وبطريقة هي غاية في الدقة والبلاغة والفصاحة والاتقان؛ ولهذا لم يستخدم القرآن من المعاني اللغوية للفظ (الوجه) إلا سبعة معاني هي: ١ـ الوجه المعروف في الحيوان. ٢ـ الدين. ٣ـ ذات الشيء. ٤ـ أول الشيء– كأول النهار– . ٥ـالعلم. ٦ـ الحقيقة. ٧ـ المراد.– كما سبق سرد ذلك مفصلا–. بينما لم يستخدم القرآن من المشتقات اللغوية إلا اثنين منها، هما: الوجهة، والوجيه.

---

(٣١) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، ج٦، ص٤١٥.
(٣٢) **المصدر السابق**: الطبري، ج٢٠، ص٣٣٢.
(٣٣) **تأويلات أهل السنة**، الماتريدي، ج٢، ص٣٧١.
(٣٤) **المصدر السابق**،: الماتريدي، ج٨، ص٤١٩.

وبهذا يظهر أن القرآن كان مقتصدا جدا في استعمالات تلك المعاني والاشتقاقات اللفظية للوجه، أو أنه اقتصر من القاموس اللغوي على أكثرها استعمالا وأشهرها، وأقربها فهما لذهن المخاطب.

وأكبر دليل على ذلك: أن بعض تلك الاستعمالات اللغوية لم تعد مشهورة ولا مستعملة أو مفهومة الدلالة إلا لدى المشتغلين بعلوم اللغة وقواميس العربية، وأما استعمالات القرآن فما زالت مشهورة متداولة عند العرب- والله أعلم.

المبحث الثالث

الوجه في القرآن المتعلق بحق ذات الله وبالجهة إليه

أولاً: ذكر الوجه في القرآن المتعلق بحق الله والمراد الذات الواجبة الوجود:

أطلق القرآن لفظ (الوجه) في حق الله تعالى وأراد به ذات الله تعالى، وذلك في موضعين منه:

الأول: في سورة الرحمن، قال تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**[الآيات :٢٦- ٢٨].

الثاني: قال تعالى في سورة القصص: **﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [الآية:٨٨].

لقد جاءت هاتان الآيتان لتعبرا عن ذات الله بطريقة مباشرة بلفظ الوجه؛**﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾**، **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾**، لما في التعبير بذلك اللفظ من إحكام المقصود في الظاهر والباطن، ودلالة خاصة على المعنى المراد.

وعلى الرغم مما بين الموردين من اختلاف في السياق والألفاظ وزمن النزول، فإن جمهور المفسرين قد ذهبوا إلى أن المراد بها في الموضعين ذات الله سبحانه تعالى.

ففي تفسير مقاتل بن سليمان: "فلما نزلت هذه الآية- أي: آية الرحمن- قالت الملائكة الذين في السماء هلك أهل الأرض، العجب لهم كيف تنفعهم المعيشة، حتى أنزل الله- تعالى- في القصص **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [القصص:٨٨]، يعني: كل شيء من الحيوان في السموات والأرض يموت إلا وجهه، يقول: إلا الله؛ فأيقنوا عند ذلك كلهم بالهلاك"[٣٥].

وقال ابن الجوزي: "قوله عز وجل: **﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾** [الرحمن:٢٦]، أي: على الأرض، وهي كناية عن غير مذكور، ﴿ فَانٍ﴾ أي: هالك.**﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾**، أي: ويبقى ربك ذو الجلال والإكرام"[٣٦].

---

(٣٥) **مقاتل بن سليمان**، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ، ج٤، ص١٩٨.
(٣٦) **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج ، ج٤، ص٢١٠.

وقال صاحب التحرير والتنوير: "وجملة ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، علة ثانية للنهي؛ لأن هلاك الأشياء التي منها الأصنام وكل ما عبد مع الله وأشرك به: دليل على انتفاء الإلهية عنها؛ لأن الإلهية تنافي الهلاك وهو العدم، والوجه مستعمل في معنى الذات. والمعنى: كل موجود هالك إلا الله تعالى"(٣٧).

وهناك من حمل الوجه هنا على غير هذا المعنى(٣٨). قال الطبري في تفسيره: "واختلف في معنى قوله: ﴿ **إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ فقال بعضهم: معناه: كلّ شيء هالك إلا هو. وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما أريد به وجهه"(٣٩).

وقال الآلوسي في تفسير قوله تعالى: **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾**"أي: ذاته عز وجل، والمراد هو سبحانه وتعالى، فالإضافة بيانية، وحقيقة الوجه في الشاهد: الجارحة، واستعماله في الذات: مجاز مرسل، كاستعمال الأيدي في الأنفس، وهو مجاز شائع، وقيل: أصله الجهة، واستعماله في الذات من باب الكناية، وتفسيره بالذات- هنا- مبني على مذهب الخلف القائلين بالتأويل، وتعيين المراد في مثل ذلك دون مذهب السلف، وقد قررناه لك غير مرة، فتذكره وعض عليه بالنواجذ"(٤٠).

وبناء على هذا المعنى الذي ذهب إليه جمهور المفسرين، وقال به حذاق المتكلمين- كما في تفسيري ابن عطية والقرطبي- من أن الوجه هنا عبارة عن الذات(٤١). يبقى السؤال ما هو سر اختيار التعبير بهذا اللفظ؟.

ولعل السر هو: الجري على عادة العرب من إطلاق الوجه وإرادة الذات. أو أن السر هو أن الناس اعتادت على استخدام الوجه للتعبير عن المتغير بذي الوجهين والثابت بذي الوجه؛ فناسب استخدام وصف ذات الله الباقية على حال ثابتة بالوجه هنا في مقابل من عداه المحكوم بالتغير والزوال.

أو أن السر: هو أنه لما كان في التعبير بالبقاء ما فيه من تسلية للمسلمين، كما يقول القشيري- رحمه الله-: "﴿**وَيَبْقَى**﴾ وفي بقائه. سبحانه خلف عن كلّ تلف، وتسلية للمسلمين عمّا يصيبهم من المصائب، ويفوتهم من المواهب"(٤٢). ناسب التعبير بالوجه هنا للإرشاد إلى تمام النعمة.

---

(٣٧) **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ج٢٠، ص١٩٧.

(٣٨) يُنظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري،ج١٩، ص٦٤٣ ؛ **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ج٦/ ص٢٣٥_٢٣٦.

(٣٩) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، ج١٩/ ص٦٤٣.

(٤٠) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،ج١٤/ ص١٠٧.

(٤١) ينظر: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، ج١/ ص٤١٤؛ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، ج١٧/ ص ١٦٥.

(٤٢) **لطائف الإشارات**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، ج٣، ص ٥٠٨.

أو أن السر: هو أن الوجه هو سر الجمال فلما كان ما قبله من الحكم على هذا العالم بالفناء والهلاك مستقبحًا في الطبع البشري عبر بالوجه هنا لإزالة الوحشة عن نفوس المستمعين. أو أن السر هو أنه لما كانت الدنيا والأخرى وجهين لحياة الإنسان، وقد حكم سبحانه وتعالى على الوجه الأول منها بالفناء والهلاك لما فيه من القبح عبر بالوجه للإرشاد بأنهم سينتقلون للوجه الآخر من هذه الحياة وهو الأجمل والأبقى، كما يدل على ذلك سياق سورة الحمد، أو غير ذلك والله أعلم.

ثانيًا: ذكر الوجه في القرآن المتعلق بحق الله والمراد به الجهة ومنها القبلة:

قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:١١٥]، ذهب البعض إلى أن هذه الآية من آيات الصفات وذهب آخرون إلى أنها ليست من آيات الصفات في شيء، فقال ابن تيمية: "ليست هذه الآية من آيات الصفات ومن عدها في الصفات فقد غلط" [٤٣].

وذكر الزرقاني في مناهل العرفان: بأنها منسوخة بقوله تعالى: **﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾** [البقرة:١٥٠]، ثم قال: "وقيل إن الآية المذكورة ليست منسوخة وإنما هي محكمة وهذا ما نرجحه لأنها نزلت ردا على قول اليهود حين حولت القبلة إلى الكعبة: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [البقرة:١٤٢]، إذن فهي متأخرة في النزول عن آية التحويل كما قال ابن عباس، وليس بمعقول أن يكون الناسخ سابقا على المنسوخ"[٤٤].

وقال الطبري: "فأما القول في هذه الآية ناسخة أم منسوخة؟ أم لا هي ناسخة ولا منسوخة؟ فالصواب فيه من القول أن يقال: إنها جاءت مجيء العموم، والمراد الخاص،..."[٤٥].

قال جمهور المفسرين: **﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**، معناها: فثم قبلة الله، قالوا: والوجه يأتي في اللغة بمعنى الجهة، يقال: وِجْهَة ووجه وَجِهَة[٤٦].

قال ابن تيمية " **﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾** أي: قبلة الله، ووجهة الله، هكذا قال جمهور السلف"[٤٧].

وقال: "(الوجه) هو الجهة في لغة العرب، يقال: قصدت هذا الوجه، وسافرت إلى هذا الوجه، أي:

---

(٤٣) يُنظر: **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ج٣/ ص١٩٣.
(٤٤) يُنظر: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ٢ ، ص٢٥٦.
(٤٥) ينظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،ج٢، ص٥٣٣، وما بعدها.
(٤٦) ينظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري**، ج٢/ ص٥٣١ـ٥٣٤؛ **تفسير القرآن العظيم** ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي أبو حاتم، ج١/ ص٢١١ـ٢١٢؛ **أحكام القرآن للشافعي**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ج١/ ص٦٤ـ٦٥؛ **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي،ج١/ ص١٥٧ـ١٥٨؛ **زاد المسير، ابن الجوزي**، ج١/ ص١٠٣ـ١٠٤؛ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ج٥، ص٥٦.
(٤٧) **مجموع الفتاوي**:ج٢/ ص٤٩٢.

إلى هذه الجهة. وهذا كثير مشهور، فالوجه هو الجهة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[البقرة:١٤٨]. أي: متوليها، فقوله تعالى: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ كلا الآيتين في اللفظ والمعنى متقاربان، وكلاهما في شأن القبلة، والوجه والجهة هو الذي ذكر في الآيتين: أنا نوليه: نستقبله"(٤٨). وقيل: المراد بـ(وجه الله)– هنا–: الله ليس غيره(٤٩). وقيل: إن معنى الآية: فثم رضا الله وثوابه(٥٠).

لكن سياق الآية وأسباب النزول يدلان بوضوح أن المراد به هنا القبلة دون غيرها، كما هو ثابت في كتب التفسير بالمأثور(٥١). وقال الطاهر بن عاشور: "وقد فسرت هذه الآية بأن المراد بها القبلة في الصلاة"(٥٢).

المبحث الرابع

الوجه في القرآن المتعلق بحق الله في طلب رضاه

كثيرة هي الآيات التي وردت في هذا السياق، لكن الملاحظ أنها وردت في مجالات متعددة شملت أهم وأخطر مناحي حياة المسلم العملية وغير العملية، وهو ما يأتي بيانه في الفقرات الآتية:

أولا: لإنفاق في وجوه الخير ابتغاء وجه الله تعالى والمراد طلب مرضاته:

قال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان:٩]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى* إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى* وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل:١٩– ٢١].

---

(٤٨) **المصدر السابق**: ج٦/ ص١٦.
(٤٩) يُنظر: **تأويل مشكل القرآن**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ص١٥٩؛ و**الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ج٢/ ص٨٣ـ٨٤.
(٥٠) يُنظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، ج٢/ ص٥٣٦؛ و**أحكام القرآن**، أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي ، ج١/ ص٧٦؛ **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، ج١/ ص١٥٨؛ **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي ، ج٢/ ص٨٤؛ **التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن أحمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي، ج١، ص٩٤.
(٥١) يُنظر بعض تلك الأسباب والروايات في: **المصادر السابقة**، الطبري، والجصاص، والبغوي، والقرطبي، والتسهيل في الأجزاء والصفحات المحددة في الهامش قبل هذا.
(٥٢) **التحرير والتنوير**،ج١/ ص ٦٨٢ـ٦٨٣.

يوجه الله تعالى عباده من خلال هذه الآيات إلى أن تكون صدقاتهم ونفقاتهم الواجبة وغير الواجبة (لِوَجْهِ اللَّهِ)، ومعنى لوجه الله – هنا –: طلب رضاه سبحانه وتعالى، وأن تكون بعيدة عن أي هدف أو مقصد دنيوي، بل يخبرهم سبحانه وتعالى في نهاية كل آية بأن هذا هو المقصد الوحيد لتكون هذه الأعمال مصدراً للفلاح.

مبينا لهم في ذات الوقت أن الخروج عن هذا المقصد يفسد الأجر والثواب، بل إن قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ**﴾ [الروم:٣٨]، يوحي بأن الخروج عن هذا المقصد قد يفسد حتى العلاقة الأسرية والاجتماعية، فعلى الرغم من أن الإنفاق على ذوي القربى والمساكين وابن السبيل مما لا يشك أحد في خيريّته عموما، سواء كان لوجه الله أو لغير ذلك؛ لكن هذا القيد يحصر الخيرية فيما أريد به وجه الله – كما هو ظاهر النص – وهذا معناه أن مخالفة هذه الإرادة قد تؤدي إلى مفسدة.

يقول الماتريدي: "قوله: ﴿**ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾، أي: ذلك الإيتاء إذا أريد به وجه اللَّه خير مما لا يراد به"(٥٣). ولعل السبب هو: أن المقصد الدنيوي قد يؤدي إلى مفسدة عندما يشعر المعطي أنه لم يحصل عليه، لذلك جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩] مصرحا بطرح أي مقصد من المقاصد الدنيوية العاجلة ﴿**لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾. وهذا لا يمنع من الرغبة في عاجل المجازاة إن كانت فيما عند الله، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾ [الروم:٣٩].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾:" هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها، وأكثر من ذلك"(٥٤).

بل إن قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٢]. يمحض الصدقة في الجانب الإنساني –لأن هذا هو المناسب لشيء يؤدى لوجه الله – فيرفض مشاركة المقاصد الأخرى هنا وإن كان ذلك المقصد هو الإسلام، ويرفض منع مستحقيها منها تحت أي ذريعة ولو كانت تلك الذريعة هي الكفر، فالمبتغي بنفقته وجه الله تعالى: لا يصح له أن يبتغي شيئا سواه.

وقد ذكرت كتب التفسير عدداً من الروايات في سبب نزول هذه الآية، وكلها تؤيد ما تقدم، ومن هذه الروايات: ما روي عن ابن عباس– رضي الله عنه– قال: كان أناس من الأنصار لهم

---

(٥٣) **تأويلات أهل السنة**: الماتريدي، ج٨/ ص٢٨٠.
(٥٤) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: الطبري، ج٢٠/ ص ١٠٦.

أنسباء وقرابة من قريظة والنضير، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم، ويريدونهم أن يسلموا، فنزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ...﴾**، وعن سعيد بن جبير، قال: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين؛ قال: رسول الله- ﷺ-: (لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم).. فنزلت: هذه الآية مبيحة للصدقة على من ليس من دين الإسلام(٥٥).

وما أجمل ما توج الله به هذه المعاني حين نفى أن يكون لأحد عنده - سبحانه وتعالى- من نعمة تستحق الجزاء إلا من ابتغى بصدقته وجه الله تعالى، كما قال عز وجل: **﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾** [الليل: ١٩- ٢٠].

يقول الماتريدي: "أي: ما لأحد عند اللَّه- تعالى- من نعمة يجزى بها ولا بد أن يستحق الثواب بها، لكن إذا أدى نعمة من نعم اللَّه- تعالى- التي أعطاها إياه لغيره؛ ابتغاء وجهه، وطلب رضاه: يجزيه بفضله؛ كأنه كانت له عنده نعمة يجزى بها"(٥٦). ولعل قوله تعالى: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾** [الحديد:١١] يؤيد ما ذهب إليه الماتريدي من معنى.

وخلاصة القول: فإن ضابط عطاء المسلم: أن يراد به وجه الله- تعالى-، وأن يطلب به رضاه، وأن يخلو من أي مقصد دنيوي إلا أن يكون المقصد مبتغى من الله- تعالى-. وألا يحول بينه وبين مستحقيه: إرادة، وإن كانت سامية- بالنسبة للمعطي- كمنع الكافر؛ طلبا لإسلامه.

ثانيًا: التوجه بالعبادة كلها ابتغاء وجه الله تعالى والمراد طلب مرضاته:

قال تعالى:**﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنعام:٥٢]، وقال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف:٢٨].

---

(٥٥) يُنظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، ج٥/ ص٥٨٨_٥٨٩؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج١/ ص٣٦٧ ؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٣/ ص٣٣٧، ولكن قد ذكروا: أن للعلماء حول الصدقة على الكافر: خلاف، فالبعض يمنعها: زاعما نسخ الآية، والبعض يحصرها في التطوع ويمنعها في الفرض: زاعما الإجماع على ذلك، والبعض يجيزها في الكل: عملا بالآية. ينظر: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، ج٣/ ص٣٣٧ ؛ و**الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ج٣/ ص٣٣٧_٣٣٨؛ **وتأويلات أهل السنة** ، الماتريدي ، ج٢، ص٢٦٦.

(٥٦) **تأويلات أهل السنة**، ج١٠، ص٥٥٥. والوجه الثاني: أن الضمير يعود على المتصدق، أي: أنه يعطي ماله وصدقته ابتغاء مرضاة الله – تعالى –، وليس مجازاة لمن له عنده نعمة. ولكن ظاهر سياق كلام الماتريدي: يوحي أنه يميل إلى الوجه الأول – أي: المذكور أعلاه - . يُنظر: **المصدر نفسه** وكذلك الجزء والصفحة.

في هاتين الآيتين: يبين الله لنا صنفا من الناس أخلصوا في عبادتهم، ولم يكن لهم مقصد وراء تلك العبادة وذلك الإخلاص إلا رضا الله عنهم، وكيف أن ذلك المقصد السامي والمطلب الرفيع قد رفع من شأنهم، قال تعالى:﴿ **الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾(٥٧).

يقول الشوكاني:" الدعاء: العبادة مطلقا، وقيل: المحافظة على صلاة الجماعة، وقيل: الذكر وقراءة القرآن، وقيل: المراد: الدعاء لله بجلب النفع ودفع الضرر. وقيل: والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام على ذلك والاستمرار، وقيل: هو على ظاهره. و﴿**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾: في محل نصب على الحال، والمعنى: أنهم مخلصون في عبادتهم لا يريدون بذلك إلا وجه الله– تعالى-: أي يتوجهون بذلك إليه لا إلى غيره"(٥٨). وأياً كان المعنى الصحيح من هذه المعاني لـ ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**﴾، فلا يهم؛ إذ لا تخرج هذه المعاني – في الجملة– عن معنى العبادة.

أما قوله– تعالى-: ﴿**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾، فمعناها هنا– كما يدل عليه ظاهر السياق-: يطلبون رضاه. فيكون المعنى العام للآية: يعبدون ربهم بإخلاص؛ طلبا لرضاه عنهم، فهم يطلبون بإخلاصهم العبادة لله: رضاه.

يقول البيضاوي–رحمه الله-، عند تفسيره لآية الصبر: ﴿**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾، رضا الله وطاعته"(٥٩).

ويقول ابن عاشور– عند تفسيره لآية الطرد:" والوجه هنا مستعار للذات على اعتبار مضاف، أي: يريدون رضى الله، أي: لا يريدون إرضاء غيره"(٦٠).

وكذا يقول الفخر الرازي: "إن من أحب ذاتا أحب أن يرى وجهه، فرؤية الوجه من لوازم المحبة؛ فلهذا السبب جعل الوجه كناية عن المحبة وطلب الرضا"(٦١).

وعن ابن عباس– رضي الله عنه-: "يطلبون ثواب الله تعالى"(٦٢). وهو بنفس المعنى السابق؛ لأن رضى الله أعظم ثواب يطلبه الإنسان.

وعلى هذا المعنى يدل بوضوح سياق قوله تعالى: ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى**﴾ [الليل:١٩-٢١]. وسواء قلنا: "ولسوف يرضى هذا المؤتي ماله في حقوق الله عز وجل"(٦٣). أو قلنا: "يرضاه الله ويجازيه عليه"(٦٤). فإن ﴿**ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ**﴾–هنا– تعني: طلب رضاه، وهي كذلك في ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

---

(٥٧) اختلف المفسرون في تحديد نوع هذه العبادة، فقال بعضهم بأنها الصلاة المفروضة – الصبح والعصر-، وقال بعضهم: هي صلاة الجماعة، وقيل: هي صلاة المكتوبة، وقيل: الذكر والدعاء، وقيل: غير ذلك من أنواع القربات. ينظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١١/ ص٣٨١–٣٨٧؛ **تأويلات أهل السنة**، الماتريدي، ج٤/ ص٩٠–٩٣.

(٥٨) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي عبد الله الشوكاني، ج٢، ص١٣٦.

(٥٩) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ج٣، ص٢٧٩.

(٦٠) **التحرير والتنوير**،ج٧، ص٢٤٧.

(٦١) **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، ج١٢، ص٥٤٢.

(٦٢) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالخازن، ج٢، ص١١٦.

(٦٣) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، ج٢٤، ص٤٨٠.

وهذا ما يمكن فهمه من قول الشوكاني– السابق–: "والمعنى: أنهم مخلصون في عبادتهم لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى". فقوله: (لا يريدون بذلك)، أي: بذلك الإخلاص، فاسم الإشارة –(ذلك)– في كلامه: يعود إلى مذكور متقدم في كلامه، وهو: (الإخلاص)، وهذا معناه أن قوله: (إلا وجه الله تعالى)، أي: رضاه، لا الإخلاص، وإلا كان معنى كلامه أنهم: لا يريدون بإخلاصهم العبادة إلا الإخلاص، وهو غير مستقيم.

وهذا معناه – أيضاً–: أن رِضَى الله– تعالى– لا يطلب أو لا يوهب بمطلق العبادة، وإنما بمطلق الإخلاص فيها، وهو ما يدل عليه بعض أسباب نزول هذه الآية: فقد ذكر ابن جرير الطبري: "أن رجلا قال للنبي– صلى الله عليه وسلم–: إني أستحيي من الله أن يرَاني مع سلمان وبلال وذَوِيهم، فاطردهم عنك، وجالس فلانًا وفلانًا! قال فنزل القرآن: **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** فقرأ، حتى بلغ: **﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**، ما بينك وبين أن تكون من الظالمين إلا أن تطردهم. ثم قال: **﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾**[الأنعام:٥٣]. ثم قال: وهؤلاء الذين أمروك أن تطردهم، فأبلغهم منّي السلام، وبشرهم وأخبرهم أني قد غفرت لهم! وقرأ: **﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾** [الأنعام:٥٤]، فقرأ حتى بلغ: **﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾** [الأنعام:٥٥]، قال: لتعرفها"[٦٥].

ومن ناحية أخرى فإن لفظ **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**– في الآيتين–: يدل على مطلوب، والإخلاص لا يطلب من الله، وإنما الذي يطلب منه رضاه.

وكذا قوله في الآية الثانية: **﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**، فـ (تريد)– هنا– بمعنى: تطلب، ولا شك، وهذا يدل على أن: **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**– قبلها– بمعنى: يطلبون؛ لأنه جعل مطلوبا في مقابلة مطلوب.

ثم إنا لو جعلنا المطلوب– هنا– الإخلاص: كان معناه أن الإخلاص يطلب بالعبادة، وهذا غير مستقيم؛ لأن فيه جعل الشيء يطلب بنفسه. لأن الله تعبدنا بالإخلاص كما تعبدنا بالصلاة، فهو عبادة قلبية وهي عبادة بدنية.

ثم إن ظاهر النصين: يدلان على أن الله قد منحهم ذلك الطلب– وهو الرضى– فرضي عنهم، وأراد أن يدلهم على ذلك الرضى؛ فنهى نبيه عن طردهم: **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**، وأمره بالصبر على مجالستهم: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**، ولا يخفى ما في ذلك من بيان عظمة شأن هؤلاء.

---

(٦٤) **البحر المحيط في التفسير**، محمد بن يوسف بن علي بن حيان، ج١٠، ص٤٩٤.
(٦٥) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، ج١١، ص٣٨٠ـ٣٨١.

وهذا معناه: أن الدعوة الخالصة لوجه الله تنعكس في التعامل على صاحبها؛ فيقيم بها الرجال كما قيم بها الأعمال. فعندما ينهى النبي– صلى الله عليه وسلم– عن طرد هؤلاء ويأمر بالصبر على مجالستهم، ثم يكون مرد ذلك كله إلى كونهم لا يريدون بعبادتهم إلا وجه الله، فإن معنى ذلك أن سبب تميزهم هو إخلاصهم العمل طلبا لوجه الله تعالى.

يقول الماتريدي: "وجائز أن يكون هذا من الله ابتداء تأديبا وتعليما؛ يعلم رسوله صحبة أصحابه ومعاملته معهم؛ كقوله: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**، ونهاه أن يمد عينه إلى ما متع أولئك؛ كقوله: **﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ ....الآية﴾** [الحجر:٨٨]، ويخبره عن عظيم قدرهم عند الله"[٦٦].

ويقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾، واصبر نفسك: " اعلم أن أكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله– صلى الله عليه وسلم–: إن أردت أن نؤمن بك فاطرد هؤلاء الفقراء من عندك، فإذا حضرنا لم يحضروا، وتعين لهم وقتا يجتمعون فيه عندك فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**﴾ [الأنعام:] الآية، فبين فيها أنه لا يجوز طردهم، بل تجالسهم وتوافقهم وتعظم شأنهم، ولا تلتفت إلى أقوال أولئك الكفار ولا تقيم لهم في نظرك وزنا، سواء غابوا أو حضروا. وهذه القصة منقطعة عما قبلها وكلام مبتدأ مستقل. ونظير هذه الآية قد سبق في سورة الأنعام وهو قوله: **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾** [الأنعام:٥٢]، ففي تلك الآية نهى الرسول– صلى الله عليه وسلم– عن طردهم، وفي هذه الآية أمره بمجالستهم والمصابرة معهم"[٦٧].

ونظرة في أسباب نزول هاتين الآيتين:[٦٨] تكشف لنا أن أسباب العلو والرفعة في الدنيا هي ذات أسباب العلو والرفعة في الآخرة، وهي العمل الذي يراد به وجه الله، وأن مالا حظ له في الآخرة– من مال وجاه– لا حظ له في الدنيا؛ عندما يتعارض مع الإخلاص لله.

ثالثًا: التوجه بالصبر ودواعيه لوجه الله تعالى والمراد طلباً لرضاه عزَّ وجلَّ:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٢].

دواعي الصبر كثيرة، لكن الصبر طلبا لمرضاة الله سيد تلك الدواعي وأشرفها، والصبر هو" كف النفس وحبسها عما تهواه؛ على ما تكره ويثقل عليها"[٦٩]. "ومعنى كون ذلك الصبر ابتغاء وجه الله: أن يكون خالصا له، لا شائبة فيه لغيره"[٧٠].

---

(٦٦) **تأويلات أهل السنة**، الماتريدي، ج٤، ص٩٢.
(٦٧) **التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب**،ج٢١، ص ٤٥٥.
(٦٨) يُنظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، ج١١، ص٣٧٤-٣٨٤.
(٦٩) **تأويلات أهل السنة**، الماتريدي: ج٦، ص٣٣١.

وهكذا فإن آية هذا المطلب: تدلنا بوضوح على أن رضى الله– تعالى– مطلب من مطالب المؤمن الصادق، وإنما جاء التعبير عنه بـ (الوجه)؛ للإرشاد إلى ذلك، وفي القرآن ما يدل– صراحة وضمنا– على أن رضى الله غاية أهل الإخلاص ومطلب أهل التقى.

يقول تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [المائدة:١١٩]، وقال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة:١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح:١٨]، وقال تعالى: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة:٨]. ويقول تعالى: ﴿**وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا**﴾ [المائدة:٢]، ويقول:﴿ **تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾[الفتح:٢٩]، وغير ذلك من الآيات الدالة على ما قررنا.

المبحث الخامس

الوجه في القرآن المتعلق بحق الأنبياء والرسل

أولا: ذكر لفظ الوجه في القرآن بحق الأنبياء والمراد به الالتجاء أو التوجه:

قال تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:١٤٤]، وقال تعالى:﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:١٤٩]، وقال تعالى: ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة:١٥٠].

كغيرهم من البشر: يتمنى الأنبياء على ربهم بعض الأمنيات، ويلجؤون إليه لتحقيق بعض الغايات، قال تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [الحج:٥٢]. "وإنما يتمنى الرسل والأنبياء: أن يكون قومهم كلهم صالحين مهتدين"(٧١). و"إلقاء الشيطان في هذه

---

(٧٠) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، الشوكاني، ج٣، ص٩٤.
(٧١) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١٧، ص٢٩٧ـ٢٩٨.

الأمنية، هو ما يوسوس به للسفهاء، والحمقى، والجهلاء من القوم، ليقفوا في وجه الدعوة التي يدعون إليها، وليرهقوا رسلهم وأنبياءهم"(٧٢).

ولعل صادق رغباتهم وخالص أمنياتهم هو ما عصم تلك الأمنيات من وساوس الشيطان؛ ليستفيد منها عامة الناس، باستثناء من كتب الله عليهم الشقاوة، فإنهم يستجيبون لمثل تلك الوساوس الباطلة، كما قال تعالى: **﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [الحج:٥٣-٥٤].

وهنا في قوله تعالى: **﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾** [البقرة:١٤٤]، يخبرنا سبحانه وتعالى عن تمني الرسول- ﷺ- وعن رغبته والتجائه وتوجهه إلى الله في تحويل القبلة إلى مكة- راجيا من وراء ذلك: حماية أتباعه من المسلمين من دسائس اليهود، وأن يسلم من قومه من لم يسلم بعد- كما دل على ذلك صريح اللفظ في الآية، فقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾، ويأتي التعبير بـ (الوجه)- هنا-؛ ليعبر عن مدى تلك الرغبة وصدق ذلك التوجه.

يقول سيد قطب: "وفي مطلع هذه الآيات نجد تعبيراً مصوراً لحالة النبي- صلى الله عليه وسلم: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ**﴾ وهو يشي بتلك الرغبة القوية في أن يوجهه ربه إلى قبلة غير القبلة التي كان عليها؛ بعد ما كثر لجاج اليهود وحجاجهم ووجدوا في اتجاه الجماعة المسلمة لقبلتهم وسيلة للتمويه والتضليل والبلبلة والتلبيس ... فكان- ﷺ- يقلب وجهه في السماء، ولا يصرح بدعاء؛ تأدباً مع ربه، وتحرجاً أن يقترح عليه شيئاً، أو أن يقدم بين يديه شيئاً"(٧٣).

ويقول السعدي في تفسيره: "يقول الله لنبيه: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ**﴾ أي: كثرة تردده في جميع جهاته، شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة، وقال **﴿وَجْهِكَ﴾**، ولم يقل: (بصرك)؛ لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر"(٧٤)، ولا يمكن أمام ذلك التوجه الكبير والرغبة الصادقة إلا أن تكون الإجابة بذات القدر، فقال تعالى: **﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾**.

يقول سيد قطب: "ثم نزل القرآن يستجيب لما يعتمل في صدر الرسول- صلى الله عليه وسلم-: **﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾**"(٧٥). كما قال في موضع

---

(٧٢) **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب، ج٩، ص١٠٦٤.
(٧٣) **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ج١، ص١٣٣.
(٧٤) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص٧١.
(٧٥) **في ظلال القرآن**،ج١، ص١٢٦.

آخر: "ولقد أجابه ربه إلى ما يرضيه. والتعبير عن هذه الاستجابة يشي بتلك الصلة الرحيمة الحانية الودود"(٧٦).

وهكذا تأتي باقي تلك الآيات مؤكدة على صدق تلك الرغبة، وعلى أنها حق من الله قبل أن تكون رغبة من نبيه- ﷺ- ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[البقرة:١٤٩]. نافية في ذات الوقت أن يكون مثل ذلك الحق مما يمكن أن يجهل ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:١٤٤]، فإن التأكيد بإنّ واللام يدل على حقيقة مستقرة في الأذهان. إذن فهؤلاء (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ). وعليه: فلم يكن امتناعهم لانعدام الحجة البينة؛ ولكن لانعدام الإرادة الصادقة، كما قال تعالى:﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ**﴾ [البقرة:١٤٥].

أو أن يكون ذلك مما يُلقي به الشياطين في أمنيات الأنبياء والمرسلين مما لا حجة فيه ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة:١٥٠].

وهكذا يتم الله- سبحانه وتعالى- نعمته على نبيه بتحقيق رغبته التي هي طريق هداية أمته، وموافقتها للحق، ففي الحديث أنه: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ**﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ"، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمُ اليَهُودُ: ﴿**مَا وَلَّاهُمْ**﴾ [البقرة: ١٤٢] عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، قُلْ لِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ-رَجُلٌ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِي صَلاَةِ العَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ: أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، فَتَحَرَّفَ القَوْمُ، حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الكَعْبَةِ) (٧٧).

ثانيًا: ذكر لفظ الوجه في القرآن بحق الأنبياء والمقصود به الاستقامة والثبات:

قال تعالى: ﴿**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يونس:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ [الروم:٣٠]، وقال تعالى:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ** ﴾ [الروم:٤٣].

(٧٦) **المصدر السابق**، ج١، ص١٣٣.
(٧٧) **صحيح الإمام البخاري**، محمد بن اسماعيل البخاري، ج١، ص٨٨، ج٩، ص٨٧.

وفي هذه الآيات: يأمر الله تعالى نبيه بالاستقامة والثبات على ما هو عليه من الحق والدين والخير، ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾. يقول البغوي:" قوله: وأن أقم وجهك للدين حنيفا، قال ابن عباس: عملك. وقيل: استقم على الدين حنيفا"(٧٨). ويقول القرطبي:" قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾، (أن): عطف على (أن أكون)، أي: قيل لي: كن من المؤمنين، وأقم وجهك. قال ابن عباس: عملك، وقيل: نفسك، أي استقم بإقبالك على ما أمرت به من الدين"(٧٩).

ويقول الماتريدي: وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، "قال بعضهم: هذا الخطاب لرسول الله– صلى الله عليه وسلم–؛ لأنه ذكر الآيات فيما تقدم؛ حيث قال: (ومن آياته) كذا وكذا، ثم ذكر الذين اتبعوا أهواءهم بغير علم، ثم قال لرسول الله: أقم وجهك أنت للدين حنيفا"(٨٠).

ويأتي التعبير بالوجه– هنا– للمبالغة في الاهتمام بأسباب الاستقامة الظاهرة والباطنة؛ فإنه قد جرت العادة أن الإقبال بالوجه على الشيء دليل الاهتمام به، قال أبو السعود– رحمه الله–: قوله تعالى:" ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، تمثيل لإقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب أسبابه، فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر: عقد عليه طرفه، وسدد إليه نظره، وقوم له وجهه مقبلا به عليه. أي: فقوم وجهك له وعدله، غير ملتفت يمينا وشمالا"(٨١).

وفي فتح القدير: "شبه الإقبال على الدين: بتقويم وجهه إليه وإقباله عليه، وانتصاب ﴿وَجْهَكَ﴾ على الحال من فاعل أقم، أو من مفعوله، أي: مائلا إليه مستقيما عليه، غير ملتفت إلى غيره من الأديان الباطلة،..."(٨٢). وقال– في موضع آخر–: "والمعنى: أن الله– سبحانه– أمره بالاستقامة في الدين والثبات فيه، وعدم التزلزل عنه بحال من الأحوال. وخص (الوجه)؛ لأنه أشرف الأعضاء"(٨٣).

ثم يبين الله تبارك وتعالى لوازم تلك الاستقامة على هذا الدين، وأهمها: الابتعاد عن الأديان الباطلة وعن الشرك بالله– تعالى– والتمسك بالحق منها، فقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس:١٠٥]، قال القرطبي:" ﴿حَنِيفًا﴾، أي: قويما به مائلا عن كل دين. قال حمزة بن عبد المطلب– رضي الله عنه–: (حمدت الله حين هدى فؤادي ... من الإشراك للدين الحنيف)"(٨٤). وقال– في موضع آخر–:" و﴿حَنِيفًا﴾ معناه: معتدلا مائلا عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة"(٨٥).

---

(٧٨) **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، ج٢، ص٤٣٧.
(٧٩) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ج٨، ص٣٨٧.
(٨٠) **تأويلات أهل السنة**،ج٨، ص٢٧٠.
(٨١) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، ج٧، ص٦٠.
(٨٢) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الشوكاني، ج٤، ص٢٥٨.
(٨٣) **المصدر السابق**: الشوكاني، ج٢، ص٥٤٢.
(٨٤) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ج٨، ص٣٨٨.
(٨٥) **المصدر السابق**، القرطبي، ج١٤، ص٢٤.

وفي تفسير الجلالين عند قوله تعالى:﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[آل عمران:٦٧]" ﴿**حَنِيفًا**﴾: مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم"(٨٦). ومعنى ذلك: أن الحنيف- هنا- هو المائل عن الباطل من الأديان إلى الحق منها.

يقول الأصفهاني: "وقيل حَنُف، أي: مال، وسمى إبراهيم حنيفا من حيث مال عما عليه جمهور قومه من المذاهب الباطلة، ولهذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[النحل:١٢٠]، نبه بقوله: ﴿**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾أن عدوله عنهم لم يكن على وجه مذموم"(٨٧).

ولما كان دين سيدنا إبراهيم هو أعدل الأديان الماضية وأبعدها عن الشرك كان مقتضى قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا**﴾ الآية. الأمر لسيدنا محمد- ﷺ- باتباعه، وهذا ما صرح به في آية أخرى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل:١٢٣]. قال البغوي- عند تفسير هذه الآية-: "وقال أهل الأصول كان النبي- صلى الله عليه وسلم- مأمورا بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته، وما لم ينسخ صار شرعا له"(٨٨).

بل قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [البقرة:١٣٠]. وقال- أيضا-: **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[البقرة:١٣٥]. وقال: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام:١٦١].

ثم بين تعالى سبب الأمر بالاستقامة على هذا الدين وترك ما سواه من الأديان بقوله: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا**﴾، وقوله ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [التوبة:٣٦، يوسف:٤٠، الروم:٣٠]. قال الماتريدي- معلقا على هذه الآية-: "أخبر أن ذلك الدين القيم بالحجج والبراهين، ليس كدين أولئك الكفرة أتباع الهوى"(٨٩).

كما أن التعبير بـ ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾: يدل على أن تلك الحجج هي مصدر ثبات هذا الدين، وأن أمرك بالثبات عليه؛ لذلك، لا لكونه مفتقرا لما يثبته. ولهذا قال الطبري- في تفسر هذه الآية: "إن إقامتك وجهك للدين حنيفا: غير مغير ولا مبدل، هو الدين القيم، يعني: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة"(٩٠).

(٨٦) **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص٧٥.
(٨٧) **تفسير الراغب الأصفهاني**، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ج٤، ص ١٧٣.
(٨٨) **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، ج٣، ص١٠٢.
(٨٩) **تأويلات أهل السنة**، ج٨، ص٢٧٢.
(٩٠) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري ، ج٢٠، ص٩٩.

كذلك ذلك الثبات الذاتي لا يجعله متأثرا بكثرة المعرضين عنه؛ بسبب جهلهم **﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الروم:٣٠]، بل إن هؤلاء هم المهددون بذلك الإعراض عنه، فقال تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾** [الروم:٤٣]، والخطاب هنا موجه للرسول- ﷺ- ولكن مما لا شك فيه: أن المقصود عموم المؤمنين والمؤمنات.

يقول سيد قطب:" والتوجيه بإقامة الوجه للدين القيم، ولو أنه موجه إلى الرسول- ﷺ- إلا أن المقصود به جميع المؤمنين. لذلك يستمر التوجيه لهم مفصلا معنى إقامة الوجه للدين: **﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾**[الروم:٣١-٣٢] "[٩١].

ويقول الماتريدي: "وقوله: ﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ هو صلة قوله: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾**، **﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾**، فهذا يدل على أن الخطاب بقوله: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ**﴾ للكل؛ حيث قال: ﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ**﴾، أي: أقبلوا إليه وأنيبوا له"[٩٢].

ثالثًا: ذكر لفظ الوجه في القرآن بحق الأنبياء والمراد به إخلاص التوجه لله:

قال تعالى: **﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾** [آل عمران:٢٠]، وقال تعالى: **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الأنعام:٧٩].

إن الإخلاص علامة من علامات النضج الفكري، وسمة فارقة بين العاملين؛ لذلك يأبى الله- تعالى- إلا أن يكون الإخلاص هو صفة الكمال وميزان الاعتدال لديه.

وفي هاتين الآيتين يخبرنا الله- تعالى- عن حال نبيين- من أعظم أنبيائه- مع هذه الصفة. فيقول لسيدنا محمد: **﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾**، ويقول عن سيدنا إبراهيم- على سبيل الحكاية-: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾.

ولأن الإخلاص لله- في الاعتقاد- أعظم وأشرف ما يمكن أن يتصف به إنسان جاء التعبير عنه هنا بالوجه، حيث قال تعالى: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، **﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾**. فعبر عن أشرف صفة دينية بأشرف وأجمع وأرفع وأعظم أعضاء الإنسان. ففيه مقابلة لأعظم صفاته بأعظم أعضاء ذاته.

---

(٩١) **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٧٦٧.
(٩٢) **تأويلات أهل السنة**، ج٨ ، ص٢٧٢.

يقول الماتريدي: "وقوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أي: أخلصت. ثم يحتمل قوله: ﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، أي: نفسي لله لا أشرك فيها أحدا، ولا أجعل لغير الله فيها حقا، على ما جعل الكفار في أنفسهم شركاء وأربابا"(٩٣).

وفي إرشاد العقل السليم:" ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي أخلصت نفسي وقلبي وجملتي"(٩٤).

وقال في زاد المسير:" قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾، قال الزجاج: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين عز وجل"(٩٥).

وقد بين أبو السعود المعنى اللطيف في التعبير عن الإخلاص بالوجه، فقال:"...، وإنما عبر عنها بالوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة، ومظهر القوى والمشاعر، ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة، وبه يحصل التوجه إلى كل شيء"(٩٦). وكأنه يريد أن يقول: وكذلك الإخلاص أشرف عبادة باطنة وأجمعها ومظهر قوتها وبه يحصل التوجه إلى رب كل شيء.

ويؤكد ابن عطية هذا الغرض من التعبير بالوجه- هنا- فيقول:" وقوله: ﴿وَجْهِيَ﴾ يحتمل أن يراد به المقصد كما تقول خرج فلان في وجه كذا فيكون معنى الآية: جعلت مقصدي لله.

ويحتمل أن يكون معنى الآية، أسلمت شخصي وذاتي وكليتي وجعلت ذلك لله، وعبر بالوجه إذ الوجه أشرف أعضاء الشخص وأجمعها للحواس"(٩٧).

ويرى البغوي: أنه: "إنما خص الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان، وفيه بهاؤه فإذا خضع وجهه للشيء فقد خضع له جميع جوارحه"(٩٨). أي: وهذا هو الإخلاص.

بينما يذهب القرطبي إلى أنه- تعالى-: "ذكر الوجه لأنه أظهر ما يعرف به الإنسان صاحبه"(٩٩). أي: وكذلك الإخلاص أظهر ما يعرف به الله الموحدين من عباده.

ومن المفارقات العجيبة: أن هاتين الآيتين قد جمعت بين أعظم نبيين: (محمد وإبراهيم) عليهما السلام، وأخبرتنا- بقصد أو بغير قصد- عن تطابق بين أقوالهم. تماما كما تطابقت أديانهم وأفعالهم ومقاصدهم، كما تقدمت الإشارة إليه في المطلب الثاني من هذا المبحث.

يقول القاسمي في تفسيره: " ثم إنه تعالى أمر محمداً- ﷺ- في هذا الموضع أن يقول كقول إبراهيم -عليه السلام- حيث قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩]، فقول محمد- ﷺ-: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾. كقول إبراهيم- عليه السلام-: ﴿وَجَّهْتُ

(٩٣) **تأويلات أهل السنة**، ج٢، ص٣٣٧.
(٩٤) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٢، ص ١٨.
(٩٥) **زاد المسير من علم التفسير**، ابن الجوزي، ج٢، ص ٤٩.
(٩٦) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود، ج٢، ص ١٨.
(٩٧) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص ٤١٤.
(٩٨) **معالم التنزيل في تفسير القرآن**،ج١، ص٤٢٢.
(٩٩) **الجامع لأحكام القرآن**،ج٧، ص ٢٨.

وَجْهِيَ﴾، أي: أعرضت عن كل معبود سوى الله تعالى، وقصدته بالعبادة، وأخلصت له. فتقدير الآية كأنه تعالى قال: فإن نازعوك يامحمد في هذه التفاصيل؛ فقل: أنا مستمسك بطريقة إبراهيم، وأنتم معترفون بأن طريقته حقة، بعيدة عن كل شبهة وتهمة. فكان هذا من باب التمسك بالإلزامات، وداخلا تحت قوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] "(١٠٠).

ثم إن هذا الأمر بتكرار تلك المقولة الطاهرة **﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾** يقودنا إلى هذا التساؤل: ما سبب هذا الأمر؟ ويجيبنا التاريخ: أن أمما كثيرة- مختلفة الأديان- قد أقرت بفضل إبراهيم -عليه السلام-، وزعمت بعض تلك الفرق اتباعها له. يقول جمال الدين القاسمي في محاسن التأويل: "إن اليهود والنصارى وعبدة الأوثان كانوا مقرين بتعظيم إبراهيم- صلوات الله وسلامه عليه-، والإقرار بأنه كان محقا في قوله، صادقا في دينه. فأمر الله تعالى محمداً- ﷺ- بأن يتبع ملته، فقال: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل:١٢٣]"(١٠١).

ويصبح معنى الآية: **﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾** في الدين ﴿ **فَقُلْ**﴾ محتجا عليهم بمقولة من هو حجة عندهم: **﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**[آل عمران:٢٠].

وتأتي جملة: **﴿حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** في سياق مقولة سيدنا إبراهيم دون مقولة سيدنا محمد؛ لتأكد معنى إخلاص العبادة لله: المفهوم من قوله: **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾**، إذ أن قومه قد نازعوه في معناها،- وكانوا كلهم أهل شرك في عبادتهم لله وكانوا يعدون ذلك من التوجه لله- فقالوا له عندما أظهر دعوته: "تركت عبادة هذه؟ فقال: **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾**، فقالوا: ما جئت بشيء! ونحن نعبده ونتوجهه! فقال: لا **﴿حَنِيفًا﴾**!! قال: مخلصا، لا أشركه كما تشركون"(١٠٢).

ويقول ابن جرير الطبري- في معرض تفسيره لهذه الآية-: "إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويحيي ويميت، لا إلى الذي يفنى ولا يبقى، ويزول ولا يدوم، ولا يضر ولا ينفع، ثم أخبرهم- تعالى ذكره-: أن توجيهه وجهه لعبادته، بإخلاص العبادة له، والاستقامة في ذلك لربه على ما يحب من التوحيد، لا على الوجه الذي يوجه له وجهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشرك، إذ كان توجيه الوجه على غير التحنُّف غير نافع موجِّهه، بل ضارّه ومهلكه. ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: ولست منكم، أي: لست ممن يدين دينكم، ويتبع ملتكم أيها المشركون"(١٠٣).

(١٠٠) **محاسن التأويل**، القاسمي: محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق القاسمي، ج٢، ص ٢٩٨.
(١٠١) **محاسن التأويل**، القاسمي، ج٢، ص ٢٩٨.
(١٠٢) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١١، ص ٤٨٨.
(١٠٣) **المصدر السابق**، الطبري، ج١١ ، ص٤٨٧-٤٨٨.

رابعًا: ذكر وجه امرأة النبي إبراهيم في حالة البشرى والصك والتعجب من أمر الله:

قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**﴾ [الآيات:٢٤-٣٠]. وقال تعالى في سورة هود: ﴿ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ* قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** ﴾ [الآيات:٧١-٧٣].

في هذه الآيات من سورة الذاريات يأتي ذكر وجه المرأة الإبراهيمية في القرآن الكريم، ﴿**فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**﴾، وهي أهله وزوجه سارة، ﴿**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا**﴾، في حال أنها صكت وجهها متعجبة من أمر الله، وهي بطبيعتها زوجة نبي مرسل من أولي العزم، وفي حضرة بيت النبوة والوحي يتنزل والملائكة يحملون البشرى لها والإنذار بالعذاب لقوم آخرين، والمجلس قائم، والحوار والمراجعة مستمرة، وهو الموضع القرآني الوحيد الذي يذكر فيه حالة امرأة نبي تصك وجهها وخديها وتلطمه تعجبا واستغرابا وخجلا وحياء مما سمعت أو بُشّرت به.

ولقد جعلنا المرأة سارة العجوز زوج إبراهيم -عليه السلام- هنا في موضع ذكر وجوه الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، لأنها زوجة نبي مرسل، وهي إحدى صانعة النص القرآني، ومن أساسيات وأسباب تنزلاته وتتلقي أوامره وتتحاور مع ملك الوحي والبُشرى" فَالْبِشَارَةُ لَهُ هِيَ بِشَارَةٌ لَهَا؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْهُمَا، فَكُلٌّ مِنْهُمَا بُشِّرَ بِهِ"[١٠٤]، وهي إحدى آيات الله من زوجات الأنبياء والرُّسل التي ينفذ الله فيها سننه ومقاديره في العقم والحمل والانجاب والولادة فيما هو غير المألوف المعتاد لدى البشر في مثل هذا السن بين الزوجين "وَقَدْ كَانَتْ إِذْ ذَاكَ بِنْتَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِائَةِ سَنَةٍ،"[١٠٥]، وقيل:" وعُمْر إبراهيم مائة وعشرين"[١٠٦]، ولسنا بحاجة إلى مثل هذا التحديد الرقمي لعُمْري الزوجين في البيت النبوي، فالأقوى منه هو قوله تعالى على لسان المرأة سارة قرآنيا ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾، ﴿**وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ** ﴾، ﴿ **وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا** ﴾ وليس بعد بيان القرآن بيان، وليس بعد وصفه وصف آخر!.

وما أجمل ما أتَى به صاحب الظلال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾، إذ قال:" إن الألفة والعادة تقيدان الإدراك البشري، وتحدان من تصوراته. فيدهش إذ يرى ما يخالف المألوف

([١٠٤]) **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج٧، ص٤٢١.
([١٠٥]) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الشوكاني، ج٥، ص١٠٦.
([١٠٦]) **صفوة التفاسير**، محمد بن علي الصابوني،ج٣، ص٢٣٣.

له، ويعجب كيف يكون، وقد يتبجح فينكر أن يكون! والمشيئة المطلقة ماضية في طريقها لا تتقيد بمألوف البشر الصغير المحدود، تبدع ما تشاء، بغير ما حدود أو قيود!"(١٠٧).

وأمر الضحك الذي أبدته امرأة إبراهيم–عليه السلام– الوارد في سورة هود هو نَتَاج طبيعي بفعل الوجه وحركاته، ومُخْرَج لقسماته، ففي الذاريات ﴿ **فَصَكَّتْ وَجْهَهَا** ﴾، وفي هود ﴿ **فَضَحِكَتْ**﴾، وكلها حركات لا تخرج عن وظائف الوجه وحركاته وأعماله في الغضب والسرور، وفي التعبير عن ذلك بالرفض أو القبول. وهو الضحك المشوب بالاستغراب ولطم الوجه مما يقول هؤلاء الضيوف ويتحدثون به في أمر الانجاب بعد أن فات العمر، وثبت العقم من أيام الصبا، وهو الضحك الذي تعلوه السخرية والاستهجان، ولعل الضحك قد اختلط بالصوت العالي والغضب الشديد المعبر عنه في سورة الذاريات **﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾**، هكذا بالإقبال والصك مع اللطم بمجمل أصابع يديها وراحتيها على وجهها وجبينها وخديها، وفي أثناء ذلك صوت الوَلوَلة المعلّلة ﴿**يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾.

والأمر الذي أفزع امرأة إبراهيم –عليه السلام– بشارتهما بولد في هذه المرحلة المتأخرة من العمر الذي كاد يفقدها التَّمَالُك والتَّمَاسُك فذهبت تعبرِّ عن الحالة بصك ولطم أغلى وأحب ما لديها من واجهة جسدها ومستقبلها في التقابل والتخابر والتحاور مع الآخرين وهو وجهها، كيف وهي تواجه نماذج من صفوة الخلق زوجها النبي إبراهيم–عليه السلام– وهو من البشر المصطفين الأخيار، وملائكة التبشير والإنذار، والقضية هي غاية في الغرابة والاستبعاد في التحقق وذلك لأمرين اثنين مما استدعى إقبالها بتلك الحالة والهيئة الاستثنائية في حياتها الشخصية.

قال الرازي:" وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فِي صَرَّةٍ**﴾ أَيْ صَيْحَةٍ، كَمَا جَرَتْ عَادَةُ النِّسَاءِ حَيْثُ يَسْمَعْنَ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِهِنَّ يَصِحْنَ صَيْحَةً مُعْتَادَةً لَهُنَّ عِنْدَ الِاسْتِحْيَاءِ أَوِ التَّعَجُّبِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ تِلْكَ الصَّيْحَةُ كَانَتْ بِقَوْلِهَا يَا وَيْلَتَا، تَدُلُّ عَلَيْهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ هُودٍ، وَصَكُّ الْوَجْهِ أَيْضًا مِنْ عَادَتِهِنَّ، وَاسْتَبْعَدَتْ ذَلِكَ لِوَصْفَيْنِ مِن اجْتِمَاعِهِمَا أَحَدُهُمَا: كِبَرُ السِّنِّ وَالثَّانِي: الْعُقْمُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ لَا تَلِدُ فِي صِغَرِ سِنِّهَا، وَعُنْفُوَانِ شَبَابِهَا، ثُمَّ عَجَزَتْ وَأَيِسَتْ فَاسْتَبْعَدَتْ"(١٠٨).

وكان هناك بين امرأة إبراهيم–عليه السلام– وبين الملائكة خطاب مباشر، لذلك هم الذين تولوا أمر الاجابة على تعجبها القولي والفعلي من أمر الله بالطريقة المباشرة كما أخبرهم الله، ولأن ابراهيم مستقبل للوحي مثلها في هذه الواقعة، وهو في دهشة من الأمر من أكثر وجه أو جهة. قال سيد طنطاوي في تفسيره :" وهنا رد عليها الملائكة بما يزيل تعجبها واستغرابها واستبعادها لأن يكون لها ولد مع كبر سنها، ويحكى القرآن ذلك فيقول: **﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾**.

---

(١٠٧) **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ج٦، ص٣٣٨٣.
(١٠٨) **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج٢٨، ص١٧٧.

أي: قال الملائكة لامرأة إبراهيم: لا تتعجبى من أن يكون لك غلام في هذه السن، فإن هذا الحكم هو حكم ربك. وهذا القول الذي بشرناك به هو قوله- سبحانه- وقوله لا مرد له: إنه- تعالى- هو الحكيم في كل أقواله وأفعاله. العليم بأحوال خلقه"[١٠٩].

الخاتمة وفيها أهم النتائج

بعد الانتهاء من هذا البحث يحسن بنا أن نختمه بأهم النتائج التي توصلنا إليها، ولكون موضوع البحث تفسير موضوعي للقرآن الكريم، وليس حول قضية جدلية أو نقاشية: فإننا نرى أنه ليس هناك كثير من النتائج الجديدة التي نخرج بها من البحث؛ لأن موضوع القرآن وتوجيهاته معلومة ومعروفة لدى المسلمين وليست محل جدل أو نقاش، وحسبنا أننا كشفنا عن الموضوع، ودرسنا جانبا منه وجمعنا آياته ذات العلاقة، وأظهرنا مقاصده وغاياته، ووقفنا على طرف من أطراف ظاهرة الإعجاز القرآني في الجانب الموضوعي للقرآن الكريم.

ويمكن أن نذكر هنا أهم ما يُرى أو يُظن أنه يصلح أن يقال عنه أهم النتائج بحسب ما توصل إليه الفهم والجهد والطاقة، وذلك باختصار شديد على النحو التالي:

أولاً: أن الوجه هو أشرف أعضاء الإنسان، لأنه الجهة الخارجية للإنسان التي تجمع بين اللطف والمحاسن، وأعضاؤه نفيسة لطيفة، وأكثر الإدراك والحواس تتركز فيه، وعليه فالوجه محترم ومصان من الآدمي وفي الحيوانات المحترمة كالحمير والخيل والإبل والبغال والغنم، وغيرها، لكنه في الآدمي أشد احتراما وأعظم صيانة كما يقرر علماء الإسلام؛ بل إن هذا ما توافقت عليه الفطر وقضت به العقول والفكر، وجاءت به الأديان السماوية، وأقرته التشريعات الوضعية والعرفية. وفي الدراسة يتضح شرف الوجه وفضله وأهميته شرعا، ويزداد الأمر وضوحا عند التأمل في ما جاء في القرآن الكريم من آيات جعلت من الوجه محورا للحديث عن قضايا ذات أهمية بالغة في حياة الإنسان عموما، والمسلم على وجه الخصوص، سواء في ذلك ما يتعلق بحق الله تعالى تقدست أسماؤه وصفاته، أو في ما يتعلق بحق الأنبياء والرسل-عليهم السلام- كما هو الأمر في البحث وتفصيلاته.

ثانيًا: عندما يتعلق الأمر بالله تعالى فإنا نجد القرآن الكريم يختار ألفاظه بعناية متناهية، فتراه يختار ألفاظا تعبر عن السمو والجلال والجمال في آن واحد. ألفاظا تجد طريقها إلى المتلقي نفسه وروحه وعقله تمر بهدوء، لتستقر حيث أراد الله لها أن تستقر، ألفاظا تمنح سامعها أسمى المعاني. ولقد أطلق القرآن لفظ الوجه في حق الله تعالى في آيات كثيرة فجاءت دلالات تلك الألفاظ وفق هذا المفهوم.-أطلقها في حق الله في معرض التعبير عن الذات المنفردة بالبقاء والخلود.-وأطلقها

(١٠٩) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، ج١٤، ص٢١-٢٢.

في حق الله في معرض التعبير عن كونه سبحانه وتعالى قبلة عباده. – وأطلقها في حق الله في معرض التعبير عن الأعمال الخالصة التي يصل بها الإنسان إلى مرضاة ربه تعالى.

ثالثًا: عندما يعلم الإنسان المؤمن بأسماء الله الحسنى وفلسفتها وبصفاته العلا وقدسيتها وما يليق بالله ومالا يليق، ويعتقد ذلك اعتقادا جازما ويقينا ثابتا وتصديقا قلبيا أن كل الوجوه في الأكوان العلوية والسفلية في السموات والأرض وما بينهما وما فيهن التي يراها ويشاهدها في حياته، أو يعتقدها في دينه ويؤمن بها حضوريا وغيابيا، وتلك التي لا يحيط بها زمانا ولا تاريخا ولا مكانا ولا حالا، وأن تلك الوجوه كلها هي من المخلوقات الحادثات، فإن البناء التصوري والعقدي على طبيعة حدوثها حتما أنها هالكة فانية الا وجه واحد هو وجه الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذات الواجب الوجود، الأبدي السرمدي الباقي، وأن كل من على ظاهر هذه الحياة وباطنها فإنه زائل لا محالة، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، وأن كل شيء هالك إلا وجهه عز وجل، هنالك يزداد المؤمن بهذا الايمان معرفة وثقة ويقينا، الأمر الذي يصنع عقيدة وسلوكا فيكون الاذعان الخالص والتسليم الكامل للحي القيوم.

رابعًا: من العلم الحق والمعرفة الإيجابية أن يعرف المسلم جناب الله سبحانه وتعالى، بالإيمان الحق المبين الذي يترجمه صاحبه في الواقع عقيدة صافية وعبادة سليمة لوجه الله وأن لا يبتغي وجها سواه عز وجل، وذلك بإخلاص العمل والتوجه وتنقية المقصد وتحديده وتوجيهه وتجريد القول والعمل لهذا الوجه السرمدي الأبدي الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه يبتغي العابد بعقيدته وعبادته ومعاملاته وأخلاقه وصلاته ونسكه ومحياه ومماته وجه الله الذات الواجبة الوجود في الوجود الله سبحانه وتعالى، كما هو المقرر في كثير من الآيات القرآنية التي ذكرناها في هذا البحث التي لم نذكرها.

خامسًا: الأصل في القرآن هو اعتماد الحقيقة كما جاءت ووردت، ولا يصار إلى التأويل والمجاز إلا لضرورة دينية عقدية، وقرينة نقلية صريحة، أو عقلية صحيحة، أو لغوية قاطعة مانعة تحتم المصير إلى التأويل أو المجاز، فالحقيقة في القرآن أصل وهي الأساس والظاهر والمتبادر للذهن لأول وهلة .. لذلك يجب وصف الله بأسمائه وصفاته كما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم من غير زيادة ولا نقصان، ولا تأويل ولا تشبيه ولا تجسيم ولا تعطيل ولا تصوير، والله تعالى هو أعلم بما وصف به نفسه، ووصفه لذاته تبارك وتعالى حقيقة هو يعلمها ويدركها وإن كننا نحن لا نعلم كنهها ولا كيفيتها ولكن إيماننا يأتي من حيث أن الله هو الذي أخبرنا، ولله الأمر والاسم والوصف لنفسه كما يشاء من قبل ومن بعد، كما هو مقرر عن سلفنا الصالح في قضية الاستواء على العرش إذ قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب كما هو منطوق ومفهوم في القرآن، والسؤال عنها بدعة، وينطبق ذلك وجه الله الملفوظ في القرآن قياسا. ولسنا مع التشبيه والتجسيم المفرط ولا مع التأويل والمجاز المفرط.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرءان الكريم.

ثانيا: المصادر والمراجع الأخرى:

أحكام القرآن للشافعي، جمع البيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (المتوفى:

٤٥٨هـ)، تهميش: عبد الغني عبد الخالق، تقديم: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

أحكام القرآن، أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي شهاب الدين المالكي (المتوفى: ٧٣٢هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الثالثة.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، النشر: ١٤٢٠هـ.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى،(:ج ٤، ج ٥): ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

تأويل مشكل القرآن، محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة ولا تاريخ نشر.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون طبعة ولا تاريخ نشر.

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ)؛ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الجزآن

الرابع والخامس تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين– جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

تفسير القرآن العظيم، محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي أبو حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ.

التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ نشر.

التفسير الكبير المسمى(مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى ابتداء من عام ١٩٩٧وانتهاء عام ١٩٩٨م.

تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

تهذيب اللغة، للأزهري: أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني؛ وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٩٨م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(صحيح الإمام البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا الطبعة: الأولى،

١٤٢٢هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني شهاب الدين الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية الدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، الناشر: دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، سورية، دمشق، الطبعة الرابعة المنقحة المعدلة، بدون تاريخ.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق، عدنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبي الحسن المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: علي محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة، بدون تاريخ.

محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية والدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، محمد بسام الزين، دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المعجم الوسيط، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة–المؤلف: إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، بدون طبعة ولا تاريخ نشر.

معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي؛ وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

المغني، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، الشهير بابن قدامة (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة، بدون تاريخ.

مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالحطاب الرُّعيني (المتوفى: ٩٥٤هـ)، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

الوجوه والنظائر، الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م